# كشف الغطاء

# عن عيني من جعل بينه وبين الله

# واسطة في الدعاء

(فيه بيان بطلان اتخاذ العبد واسطة بينه وبين الله تعالى من ستة عشر وجها)

تأليف : ماجد بن سليمان الرسي

جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

# بسم الله الرحمٰن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فإن الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس هي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ، والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

«فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك ، والإحسان إلى البهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمته ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك ؛ هي من العبادة لله أيضًا».[1]

وضد العبادة الشرك في عبادة الله ، بأن يجعل الإنسان لله شريكا يعبده كما يعبد الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويتقرب إليه بشيء من العبادات ، من دعاء وصلاة أو ذبح أو نذر أو غير ذلك ، كما يتقرب إلى الله.

والكلام في هذا البحث المختصر منصب على مسألة صرف عبادة الدعاء لغير الله ، وقبل البدء في مناقشة هذه المسألة أقول إن الدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبيّن النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، إلا أنه من أكثر العبادات التي شرّك الناس فيها بين الله وبين خلقه ، فإنك تجد – مع الأسف الشديد – كثيرا ممن ينتسب إلى الإسلام قد وقعوا في دعاء غير الله والاستغاثة بهم ، سواءً كانوا من الأنبياء أو الصالحين ، كمن يقول: يا نبي الله أغثني ، أو: يا عبد القادر الجيلاني أشكو إليك ذنوبي ، أو: يا بدوي ، مدد مدد ، أو: أشكو إليك نقص رزقي ، أو تسلُّط العدو علي ، أو قلة الولد ، أو: أشكو إليك فلانا الذي ظلمني ، أو يقول: أنا

[1] نقلا من «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله (١٤٩/١٠ – ١٥٠) بتصرف يسير.

نزيلك ، أنا ضيفك ، أنا جارك ، أو: أنت تجير من يستجير ، أو: أنت خير معاذ يستعاذ به ، أو: ارزقني الولد ، أو قول القائل إذا عثر : يا جاه محمد ، يا ست نفيسة ، أو: يا سيدي الشيخ فلان ، ونحو ذلك من الأقوال التي فيها تعلق وتوجه ودعاء لغير الله ، وبعضهم يكتب على أوراق ويعلقها عند القبور ، أو يكتب محضرا أنه استجار بفلان ، ثم يذهب إلى أحد المقبورين بذلك المحضر ليغيثه! وما يدري المسكين أنه قد خلع بفعله هذا ربقة الإسلام من عنقه بدعائه ذلك الميت ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

وفي هذه الوريقات ؛ نقلت ما يسر الله نقله من أدلة شرعية على عِظم شأن الدعاء من بين سائر العبادات ، ثم ذكرت الأدلة الدالة على وجوب دعاء الله وحده وترك دعاء من سواه ، ثم عطفت بذكر الجواب عن الشبهة التي يتناقلها الناس قرنا بعد قرن ، ومفادها أن العبد ينبغي له أن لا يدعو الله مباشرة ، بل ينبغي له أن يدعو من يُنسبون إلى الصلاح من أصحاب القبور ونحوهم ، وهم بدورهم يرفعون الدعاء إلى الله!

وقد أجبت عن هذه الشبهة وبينت بطلانها من ستة عشر وجها ، عقليا ونقليا ، وبينت أيضا أن فاعل ذلك مشرك بالله العظيم ، وأنه قد فَعل فِعل المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ سواء بسواء ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

كما نقلت ما يسر الله نقله عن علماء المذاهب الفقهية المشهورة في تحريم دعاء غير الله ، تحت أي ذريعة كانت ، الوساطة أو غيرها.

والله أسأل أن يوفق المسلمين جميعا لإخلاص العمل لله ، والمتابعة لرسول الله ﷺ ، وأن يُجنبهم طرق الشرك والضلال ، والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وكتبه ، ماجد بن سليمان الرسي

الثامن والعشرين من شعبان لعام ١٤٣٣ هجري.

www.saaid.net/book ، majed.alrassi@gmail.com

هاتف : ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

## تأصيل ، الدعاء عبادة

### مكانة الدعاء بين سائر العبادات

الدعاء عبادة جليلة ، قد خصها الله بالذكر في كثير من الآيات ، وبيَّن النبي ﷺ شرفها في كثير من الأحاديث الصحيحة ، فمنها حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الله حَيِيٌّ كريمٌ يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين.[١]

وقال رسول الله ﷺ : لا يرُدُّ القضاء إلا الدعاء.[٢]

وقال رسول الله ﷺ : ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء.[٣]

وقد جاء تصريح النبي ﷺ بتعظيم شأن الدعاء في قوله ﷺ : الدعاء هو العبادة ، وقرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ إلى قوله ﴿داخرين﴾.[٤]

وحَصْرُ العبادة في الدعاء ليس حصْرا كليا ، بمعنى أن الدعاء يضم جميع أنواع العبادات ، كلا ؛ بل المراد به التنبيه على عِظم الدعاء وشرف مكانته ، وأنه لُبُّ العبادة وخالصُها وركنها الأعظم ، وهو كقوله ﷺ : (الحج عرفة)[٥] ، وقوله ﷺ : (الدين النصيحة)[٦] .

وقد شكَّك بعض الناس في كون الدعاء عبادة ، ليصِلوا بذلك إلى جواز صرفِه لغير الله ، وهذا الزعم مردود عليهم ، فقد سمى الله الدعاء عبادةً في قوله ﴿قل إني نهيت أن **أعبد** الذين **تدعون** من دون الله لما جاءني البينات من ربي﴾ ، وقال تعالى ﴿وقال ربكم **ادعوني** أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن **عبادتي** سيدخلون جهنم داخرين﴾ ، أي أذلاء ، فَوَصَفَ اللهُ الدعاء بالعبادة في الآيتين ، فدل ذلك على عِظم شأنه.

كما سمى الله الدعاء دينًا كما في قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دَعَوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[٧] .

---

١ رواه الترمذي (٣٥٥٦) ، وصححه الألباني.

٢ رواه الترمذي (٢١٣٩) ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وحسنه الألباني ، انظر «الصحيحة» (١٥٤).

٣ رواه الترمذي (٣٣٧٠) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الألباني.

٤ رواه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٢٩٦٩) ، وغيرهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني.

٥ رواه النسائي (٣٠١٦) وغيره ، عن عبد الرحمٰن بن يَعمَر رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

٦ رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

٧ سورة العنكبوت: ٦٥ .

فجعل الله سبحانه الدين بدلاً من الدعاء ، وعرَّفه بالألف واللام التي تُفيد العهد ، فدل ذلك على أن الدعاء دينٌ ، وما كان دينا فهو عبادة.

ثم إن الله تعالى قد أمر بدعائه ، وكل ما أمر الله بفعله فهو عبادة واجبة أو مستحبة ، كما في الآية المتقدمة ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ ، وقال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾.

وكذلك النبي ﷺ أمر بدعاء الله ، كما في قوله: فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب تعالى ، وأما السجود **فأكثروا من الدعاء** ، فَقَمِنٌ[1] أن يستجاب لكم.[2]

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين[3] رحمه الله:

وكل ما أمر الله به أمر إيجاب أو استحباب فهو عبادة عند جميع العلماء ، فمن قال إن دعاء العبد ربه ليس بعبادة له فهو ضال ، بل كافر.[4]

## فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره

القرآن والسنة يأمران بإفراد الله وحده بالدعاء ، وينهيان عن دعاء غيره ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿واسألوا الله من فضله﴾[6].

---

١ أي حريٌّ.

٢ رواه مسلم (٤٧٩).

٣ هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، ولد سنة ١١٩٤ هـ في روضة سدير ، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تولى القضاء والافتاء ، وصار من أكابر علماء نجد ، حتى لُقِّب بـ «مفتي الديار النجدية» ، برع في الفقه ، ودرَّس في بلاد كثيرة ، وله تلامذة كثر ، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩ هـ) ، شارح نونية ابن القيم ، وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢٩٠ هـ) ، المؤرخ المعروف ، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية ، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين ، والرد على المجادل عن المشركين» ، وكتاب «الرد على البردة» ، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وله رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» ، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته في مقدمة كتابه «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، وهي من إعداد د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله ، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمٰن أبابطين ، مفتي الديار النجدية» ، تأليف د. علي بن محمد العجلان ، الناشر: دار الصميعي – الرياض.

٤ «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٢٧ .

٥ سورة الأعراف: ٥٥ .

٦ سورة النساء: ٣٢ .

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم[1] رحمه الله:

وأما إفراد الله بالدعاء فجاء ذكره في نحو ثلاثمائة موضع منوع ، تارة على صيغة الأمر به ، كقوله ﴿أدعوني أستجب لكم﴾[2] ، ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾[3].

وتارة يذكره الله بصيغة النهي كقوله ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾[4].

وتارة يقرنه بالوعيد كقوله ﴿فلا تدع مع الله إلٰهاً آخر فتكون من المعذبين﴾[5].

وتارة بتقرير أنه هو المستحق للألوهية والتعبد كقوله ﴿ولا تدع مع الله إلٰهاً آخر لا إله إلا هو﴾[6].

وتارة في الخطاب بمعنى الإنكار على الداعي كقوله ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾[7].

وتارة بمعنى الإخبار والاستخبار ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات﴾[8].

وتارة بالأمر الذي هو بصيغة النهي والإنكار ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾[9].

---

١ الشيخ عبد الرحمٰن من علماء نجد المعروفين ، ولد سنة ١٣١٩ هجرية ، ودرس على يد جملة من علماء نجد ، تميز الشيخ بخدمة التراث العلمي من مصادره ثم تحقيقه وطباعته ، أبرزها فتاوى ابن تيمية ، جمعها في خمسة وثلاثين مجلدا عدا الفهارس ، وطبعت على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٨١ هـ ، وكذا جمع فتاوى علماء نجد بدءا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر إلى العلماء المعاصرين في زمنه ، وهي المعروفة بـ «الدرر السنية في الفتاوى النجدية» ، وتقع في ستة عشر مجلدا ، وطبعت على نفقة الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٥٦ هجرية ، وجمع الشيخ أيضا فتاوى مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في ثلاثة عشر جزءا ، وطبعت بأمر من الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله في عام ١٣٩٠ هـ.

وللشيخ مؤلفات وشروحات في العقيدة وأصول التفسير والفقه والحديث والنحو ، قد نفع الله بها كثيرا واستفاد منها المسلمون ، رحمه الله وأجزل ثوابه.

توفي الشيخ عبد الرحمٰن سنة ١٣٩٢ هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة.

٢ سورة غافر: ٦٠ .

٣ سورة الأعراف: ٢٩ .

٤ سورة الجن: ١٨ .

٥ سورة الشعراء: ٢١٣ .

٦ سورة القصص: ٨٨ .

٧ سورة يونس: ١٠٦ .

٨ سورة الأحقاف: ٤ .

٩ سورة سبأ: ٢٢ .

وتارة أن الدعاء هو العبادة ، وأن صرْفَه لغير الله شرك ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ إلى قوله ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[1] ، ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون دون الله﴾ إلى قوله ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾[2].

وفي الحديث: (الدعاء هو العبادة)[3] ، صححه الترمذي وغيره ، وقد أتى فيه بضمير الفصل ، والخبر والخبر المعرَّف باللام ليدل على الحصر ، وأن العبادة ليست غير الدعاء ، وأنه مُعظم كل عبادة[4] ، ونهى أن[5] يشرك معه أحد فيه ، حتى قال في حق نبيه ﷺ ﴿قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحداً﴾[6] ، وأخبر أنه لا يَغفر أن يشرك به.[7] انتهى.

قلت: ومن أدلة وجوب إفراد الله بالدعاء ؛ حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال: إذا سألت **فاسأل الله** ، وإذا استعنت فاستعن بالله.[8]

فلو كان سؤال غير الله جائزا لأرشده النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : واسألني ، أو: استعن بي ، فلما لم يقع هذا – والمقام مقام تعليم – دلَّ ذلك على أن سؤال غير الله لا يجوز.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟[9]

وقد جاء النهي صريحا عن دعاء غير الله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من مات وهو يدعو من دون الله نِدًّا[10] دخل النار.[11]

---

١ سورة الأحقاف: ٥ – ٦ .

٢ سورة مريم: ٤٨ . ٤٩ .

٣ تقدم تخريجه.

٤ صدق رحمه الله ، فلا تكاد تخلو عبادة من دعاء ، فالصلاة والحج والأذكار والجهاد كلها عبادات يُشرع فيه دعاء الله عز وجل ، فضلا عن كون الدعاء بحد ذاته عبادة مستقلة.

٥ في المطبوع: (ألا) ، وهو خطأ ظاهر ، فلعله خطأ في النسخ ، والصواب ما أثبت.

٦ سورة الجن: ٢٠ .

٧ «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ١٣١ – ١٣٢ ، باختصار وتصرف يسير.

٨ رواه الترمذي (٢٥١٦) ، وأحمد (٣٠٣/١) ، وصححه الألباني.

٩ رواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (١٧٧٢) ، وغيرهما.

١٠ الند هو المثيل والنظير.

١١ رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : تخرج عنق من النار يوم القيامة ، لها عينان تبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، يقول: إني وُكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد ، **وبكل من دعا مع الله إلٰها آخر** ، وبالمصورين.[1]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي[2] رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يسأله من في السماوات والأرض﴾[3]:

أي هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته ، وهو واسع الجود والكرم ، فكل الخلق مفتقرون إليه ، يسألونه جميع حوائجهم بحالهم ومقالهم ، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ، وهو تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ ، يغني فقيرًا ويجبر كسيرًا ، ويعطي قوما ويمنع آخرين ، ويميت ويحيي ، ويخفض ويرفع ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا تُغَلِّطُه المسائل ، ولا يُبرِمُهُ[4] إلحاح الملحين ، ولا طول مسألة السائلين ، فسبحان الكريم الوهاب الذي عمَّت مواهِبه أهل الأرض والسماوات ، وعم لُطفُه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات ، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين ، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه.[5]

---

١ رواه الترمذي (٢٥٧٤) ، وصححه الألباني.

٢ هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ، من فحول علماء نجد ، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم ، ولد عام ١٣٠٧ وتوفي عام ١٣٧٦ هجري ، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين ، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام ، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهم ، رحم الله أمواتهم وحفظ أحياءهم.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن البسام رحمه الله.

٣ سورة الرحمٰن ، الآية ٢٩ .

٤ أي يُمِلُّه ويُضجره. انظر «لسان العرب».

٥ «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان».

## نص شبهة اتخاذ الواسطة والشفاعة في الدنيا

**قال بعضهم: نحن مذنبون عصاة ، وبعيدون عن جناب الله ، فليس من اللائق بنا أن ندعوا الله مباشرة ، لأننا إن دعوناه مباشرة رجعنا بخُفَّي حُنَين[1] ، وإنما ندعو أناسًا صالحين ، أقرب إلى الله منا ، وأقْوَم بحقه ، ثم هم – أي هؤلاء الصالحون – يَدْعون الله أن يجيب حاجاتنا ، فيستجيب الله لهم إذا دَعَوه ، ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لنا لديه ، إكراما لهم ، ومراعاة لخاطرهم ، فنحن إذا احتجنا الولد أو سعة الرزق أو غير ذلك توجهنا لأولئك الصالحين بالدعاء ، ثم هم يرفعون الدعاء إلى الله ، فلماذا تمنعون هذا النوع من الدعاء ، مع أن البشر يستعملونه فيما بينهم ، كملوك الدنيا الذين يطلب الناس حاجاتهم منهم عن طريق الوسطاء من الحجاب والوزراء والمقربين ، فلماذا لا نستعمله مع الله؟**

والجواب عن هذه الشبهة من ستة عشر وجها:

**الوجه الأول:** أن الله تعالى أمرنا بأن ندعوه مباشرة بدون اتخاذ واسطة[2] ، قال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ ، وأخبر أن التوجه لغيره هو فِعل المشركين الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ ، قال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[4] ، وقد تقدم تقرير ذلك بشيء من التفصيل في الفصل المتقدم.

**الوجه الثاني:** أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، توسط أو غيره ، والشرك معلوم تحريمه بالضرورة من دين الإسلام وكافة الأديان ، وهو ناقض لدين الإسلام بالكلية ، قال تعالى لنبيه

---

[1] (رجع بخفي حُنين): مثلٌ يُضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة ، وحُنين اسم رجل ، وللمثل قصة طريفة ، انظرها في «مجمع الأمثال» لأبي الفضل ، أحمد بن محمد الميداني ، (٣٧/١) ، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت.

[2] قد يسر الله الكلام على آداب الدعاء وأسباب إجابته في كتاب مستقل بعنوان «التبصرة في بيان أن تحري إجابة دعاء الله تعالى عند القبور بدعة منكرة» ، وهو منشور في شبكة المعلومات ، يسَّر الله طبعه.

[3] سورة الزمر: ٣ .

[4] سورة يونس: ١٨ .

ﷺ ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] رحمه الله في رده على من اتخذ واسطة بينه وبين الله:

«وهذا جهل بدين الحنفاء ، فإن الحنفاء ليس بينهم وبين الله تعالى واسطة في العبادة والدعاء والاستعانة ، بل يناجون ربهم ويدعونه ويعبدونه بلا واسطة ، وكل مُصلٍّ يعبد ربه منه إليه بلا واسطة».[2]

وهذه المسألة مجمع عليها عند علماء الإسلام قاطبة ، من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم ، فقد أجمعوا على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام ، وإجماع المسلمين حجة شرعية كما قال الرسول ﷺ : إن الله تعالى **لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة.**[3]

وقد حكى إجماعَهم على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام جمعٌ من العلماء ، منهم شيخ الإسلام ، أبو العباس ، أحمد بن تيمية ، رحمه الله ، حيث قال:

«سؤال الميت والغائب – نبيًا كان أو غيره – من المحرمات المنكرة **باتفاق أئمة المسلمين** ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحسنه أحد من أئمة المسلمين ، **وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين**».[4]

---

[1] هو الإمام العلامة البحر الفقيه ، شيخ الإسلام حقا ، أبو العباس ، تقي الدين ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، الملقب بابن تيمية ، جدد دين الإسلام بعدما استحكمت غربته ، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات الصوفية وشركيات القبورية وإلحاد الفلاسفة والرافضة ، فجدد الدعوة للإسلام الصافي على منهاج الكتاب والسنة ، وجهر بالحق ، وناظر أهل الباطل ، وتحمل السجن في سبيل ذلك ، فكتب الله لعلمه القبول ، وسارت بمصنفاته الركبان ، وصار من بعده من علماء السنة عيالا عليه ، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام ، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم ، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في جامع نفيس ، ووسموه بـ «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» ، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، ونشرته دار عالم الفوائد – مكة ، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

[2] «الاستغاثة في الرد على البكري» ، (٢/٤٧٧-٤٧٨) باختصار.

[3] رواه الترمذي (٢١٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وصححه الألباني ، وكذا الحاكم في «مستدركه» (١/١١٥ ، ١١٦) ، وحكى بعد روايته للحديث إجماع أهل السنة على هذه القاعدة ، وأنها من قواعد الإسلام.

[4] «الاستغاثة في الرد على البكري» ص ٣٣١ .

وقال أيضا: «لم يقل أحد من علماء المسلمين أنه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى ، لا بنبي ولا بملَك ولا بصالح ولا غير ذلك ، بل **هذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاقه**».[1]

وقال أيضا: «من جعل الملائكة والأنبياء **وسائط** ، **يدعوهم** ، ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب ، وهداية القلوب ، وتفريج الكروب ، وسد الفاقات ؛ **فهو كافر بإجماع المسلمين**».[2]

ونقله عنه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[3] من علماء الحنابلة في كتابه «تيسير العزيز الحميد» ثم قال:

«نقله[4] عنه غير واحد مقررين له ، منهم ابن مفلح في «الفروع»[5] ، وصاحب «الإنصاف»[6] ،

---

[1] «مجموع الفتاوى» (١/١٠٣).

وانظر ما قاله في «الفتاوى الكبرى» (٤/٥٠٦) ، (اختيارات شيخ الإسلام) ، باب حكم المرتد ، الناشر: دار القلم – بيروت.

[2] «مجموع الفتاوى» (١/١٢٤).

[3] هو العلامة الفقيه المحدث الأصولي ، حفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة ١٢٠٠ هـ ، نشأ في الدرعية في وسط علمي زاخر بجهابذة العلماء ، له عدة مؤلفات ، من أشهرها كتابه «تيسير العزيز الحميد» ، وهو شرح نفيس على كتاب «التوحيد» لجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والكتاب على مدى ثلاث قرون ينهل منه العلماء وطلبة العلم إلى وقتنا هذا ، وهو عمدة في علم توحيد العبادة ، ومن بعده عيال عليه.

وله أيضا حاشية على كتاب «المقنع» في الفقه في ثلاث مجلدات ضخام ، وله غيرها ، توفي رحمه الله سنة ١٢٣٤ هـ وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

انظر ترجمته موسعة في كتاب «مشاهير علماء نجد» للشيخ عبد الرحمٰن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ، وله ترجمة في مقدمة كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» بقلم محققه: أسامة بن عطايا العتيبي.

[4] أي الإجماع على كفر من دعا غير الله.

[5] (٦/١٥٨) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط سنة ١٤١٨ .

[6] أي المرداوي ، (١٠/٣٢٧) ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وصاحب «الغاية»[١] ، وصاحب «الإقناع»[٢] ، وشارحه[٣] ، وغيرهم ، ونقله صاحب «القواطع»[٤] في في

كتابه عن صاحب «الفروع»».

قلت[٥]: «وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين ، وقد نص العلماء من أهل المذاهب الأربعة الأربعة وغيرهم في باب حكم المرتد على أن من أشرك بالله فهو كافر ، أي عبد مع الله غيره بنوع من أنواع العبادات ، وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أن دعاء الله عبادة له ، فيكون صرفه لغير الله شركا». انتهى كلام الشيخ سليمان رحمه الله.[٦]

وممن حكى أيضا إجماع العلماء على أن دعاء غير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن[٧] ، فقد ذكر أن المسلمين قد أجمعوا على تكفير من ارتكب الشرك الأكبر ، وكفَر بآيات الله ورسله ، أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغِها المعتبر ، كمن عبد

---

[١] أي «غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى» لمرعي الكرمي (٤٩٨/٢) ، تحقيق ياسر إبراهيم المزروعي ، رائد يوسف الرومي ، الناشر: دار غراس – الكويت.

[٢] (٢٨٥/٤) ، لشرف الدين ، موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي ، تحقيق د. عبد الله التركي ، الناشر: دار هجر – مصر.

[٣] يعني الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه «كشاف القناع في شرح الإقناع» (١٦٨/٦) ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، ط ١٤٠٢ .

[٤] أي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، واسم كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام» ، وسيأتي التعريف به.

[٥] لا زال الكلام للشيخ سليمان.

[٦] «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» ، باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ، ص ٤٢٧ .

[٧] هو الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى ، ولد سنة ١٢٢٥ هـ ، ، في بلدة العلم والعلماء ؛ الدرعية ، درس على يد عدد من المشايخ ، منهم والده الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ محمد بن محمود الجزائري ، مفتي الديار الجزائرية في وقته ، وغيرهم.

وبعد تضلعه في العلم ؛ تتلمذ عليه عدد من التلاميذ ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه ؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل ، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» ، وأيضا «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى ، وكذا يقع بعضها في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام» ، والترجمة من إعداد الشيخ د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

الصالحين ودعاهم مع الله ، وجعلهم أندادًا له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية ، وذكر أن هذا مجمع عليه بين أهل العلم والإيمان ، وأن كل طائفة من أهل المذاهب المقلَّدة يُفردون هذه المسألة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها ، وينصون على الشرك ، وأن ابن حجر[1] قد أفرد هذه المسألة بكتاب سماه: «الإعلام بقواطع الإسلام»[2].[3]

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله: «لا نعلم نوعًا من أنواع الكفر والردة وَرَدَ فيه من النصوص **مثل ما ورد في دعاء غير الله** ، من النهي والتحذير عن فعله ، وكُفر فاعله ، والوعيد عليه بالخلود في النار ، فما المانع من تحكيم الكتاب والسنة واتباع إجماع الأمة ، وقد أُفردت هذه المسألة بالتصنيف ، **وحكى الإجماع عليها غير واحد من أهل العلم ، وذكروا أنها من ضروريات الإسلام؟**»[4]

## فصل

وللفائدة ؛ فهذا طرف من كلام بعض علماء المذاهب الأربعة في تقرير أن دعاء غير الله شرك أكبر.

### كلام الحنفية

قال الشيخ محمد عابد السندي الحنفي[5] في كتابه «طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار» ما نصه:

«ولا يقول: (يا صاحب القبر ، يا فلان ، اقض حاجتي) ، أو: (سلها من الله) ، أو: (كن لي شفيعا عند الله) ، بل يقول: (يا من لا يشرك في حكمه أحدا ؛ اقض لي حاجتي هذه)».

---

[1] أي أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي.

[2] الكتاب طبع مستقلا ، وطبع بتحقيق د. محمد الخميس ضمن مجموع «الجامع في ألفاظ الكفر» ، الناشر: دار إيلاف – الكويت.

[3] «الدرر السنية» (١/٤٦٧-٤٦٨).

[4] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٢٤ .

[5] هو الشيخ المحدث محمد عابد بن علي السندي ثم الأنصاري ، ولد بالسند ، ثم هاجر مع جده إلى اليمن ثم قدم المدينة ، وجاور إلى أن توفي بها ، قال عنه الشوكاني: (له يد طولى في علم الطب ، ومعرفة متقنة بالنحو والصرف وفقه الحنفية وأصوله ، ومشاركة في سائر العلوم وفهم صحيح سريع) ، وقال الزركلي: (فقيه حنفي ، عالم بالحديث) ، له تصانيف عدة في الفقه والحديث ، توفي سنة ١٢٥٧ هـ ، انظر ترجمته في كتاب «البدر الطالع» للشوكاني ، و«هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين» (٢/٣٧٠) ، لإسماعيل بن محمد أمين البابانى البغدادي.

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي[1] ما نصه:

«هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات ، وبهم تنكشف المُهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وهذا كلام فيه تفريط وإفراط ، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السَّرمدي ، لما فيه من روائح **الشرك المحقق** ، ومصادرة الكتاب العزيز المصدَّق ، **ومخالفة لعقائد الأئمة ، وما أجمعت عليه هذه الأمة** ، وفي التنزيل ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[2] ».[3]

وبهذا قال جمع من أئمة الحنفية المتأخرين ، كالإمام أحمد السرهندي[4] ، والإمام أحمد الرومي[5] ، والشيخ سجان بخش الهندي ، ومحمد بن علي التهانوي[6] ، ومحمد إسماعيل الدهلوي[7] ، والشيخ

---

[1] صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي ، واعظ فقيه ، محدث أديب ، له أرجوزة في الحديث ، وله كتاب مشهور في إبطال الغلو في الصالحين «سيف الله على من كذب على أولياء الله». توفي سنة ١١٢٠ هـ ، انظر «معجم المؤلفين» (٤٨٣/١) ، و «هدية العارفين» (٤٢٨/١).

[2] سورة النساء: ١١٥ .

[3] «سيف الله على من كذب على أولياء الله» ، باختصار ، (ص ١٥-١٦).

[4] انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٤٣/٥ – ٥٥) ، لمؤلفه عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، الناشر: دار المعارف العثمانية – حيدر آباد.

[5] هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ، ويعرف بالرومي ، من علماء الدولة العثمانية ، له تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة ، توفي توفي سنة ١٠٤٣ هـ ، له كتاب «حاشية على تفسير أبي السعود» ، وكذا كتاب «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار في شرح مائة حديث من المصابيح» ، وغيرها ، انظر ترجمته موسعة في «هدية العارفين» (١٥٧/١) ، ط دار الكتب العلمية ، سنة ١٤١٣ هـ ، و «معجم المؤلفين» (٢٥٢/٢).

وكلامه في التحذير من دعاء غير الله مذكور في كتابه «مجالس الأبرار ومسالك الأخيار» ، المجلس السابع عشر والسابع والخمسين.

[6] باحث هندي ، له كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون» ، انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر» (٢٧٨/٦) ، و «هدية العارفين» (٣٢٦/٢) ، و «الأعلام» للزركلي (٢٩٥/٦) ، وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون» (١٤٦/٤ – ١٥٣).

[7] هو محمد بن إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، محدث ، من آثاره: «إنجاح الحاجة في شرح سنن ابن ماجه» ، انظر ترجمته في كتاب «نزهة الخواطر» و «معجم المؤلفين» (١٣٣/٣) ، وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في كتابه «تقوية الإيمان».

محمود بن عبد الله الآلوسي[١] ، وغيرهم.[٢]

وقد ألف الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله رسالة عظيمة جمع فيها أقوال علماء الأحناف في إبطال عقائد القبورية ، ومن المعلوم أن الدعاء هو أكثر فعل القبوريين عند القبور التي يعظمونها لاعتقادهم فيها ، وأسماها «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» ، تقع في ثلاث مجلدات ، نال فيها رسالة الدكتوراة العالمية ، أشار فيها إلى جهود علماء الحنفية في بيان مصدر عبادة القبور ونشأة القبورية وانتشارهم ، وتحقيق أن القبورية أهل شرك ووثنية ، وجهودهم – أي علماء الحنفية – في إبطال عقائد القبورية.[٣]

ثم نقل رحمه الله مقالات جمع من علماء الحنفية في التحذير من الشرك وإبطال ثلاثين ذريعة من ذرائعه التي يتمسك بها القبورية بمُجمَلهم.[٤]

ثم ذكر رحمه الله أمثلة لغلو القبوريين في الصالحين ، وجهود علماء الحنفية في إبطاله ، فابتدأ بذكر غلوهم في النبي ﷺ ، ودعوى أنه يعلم الغيب ، وأن له تصرفا في الكون ، وأنه يسمع صوت المستغيثين ، فأبطل ذلك كله ، ثم عطف على أمثلة الغلو في غير النبي ﷺ ، كعبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم ممن تُدَّعى له الوِلاية.[٥]

**وأما كلام الشافعية** في باب تحريم دعاء غير الله فقد قال ابن حجر الشافعي[٦] في «شرح الأربعين

---

[١] هو محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين الآلوسي الحسيني ، أبو المعالي ، مؤرخ عالم بالأدب والدين ، من الدعاة إلى الإصلاح في العراق ، حمل على أهل البدع برسائل فعاداه كثيرون ، له اثنان وخمسون مصنفا ، توفي رحمه الله سنة ١٣٤٢ في بغداد.

وكلامه في ذم دعاء غير الله مذكور في تفسيره الموسوم «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ، عند الآية ٧٣ من سورة الحج.

[٢] انظر أقوالهم مفصلة في الإنكار على من دعا غير الله في «المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد» ، جمع د. محمد الخميس ، ص ٤١٢ – ٤١٨ ، الناشر: دار أطلس – الرياض ، وقد اكتفيت بالإحالة عليها عن نقلها مفصلة طلبا للاختصار.

[٣] انظر الصفحات ٣٥٣ – ٥٦١ .

[٤] انظر الصفحات ٥٦٣ – ٦٨٢ .

[٥] انظر الصفحات ٦٨٣ – ٨٩٧ .

[٦] هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الشافعي ، فقيه مصري ، من علماء القرن العاشر ، له كتب كثيرة ، انظر ترجمته في «الأعلام» للزركلي (١/٢٣٤).

النووية» ما معناه أن من دعا غير الله فهو كافر.[1]

وقال الشيخ أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي[2] رحمه الله:

«وشِرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلٰهية وشرك في الربوبية ، فالشرك في الإلٰهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عُبَّاد الأصنام وعُبَّاد الملائكة وعُبَّاد الجن **وعُبَّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات** ، الذين قالوا ﴿إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، ويشفعوا لنا عنده ، وينالُنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قربٌ وكرامة ، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلٰهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله ، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى.

وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».[3]

**وأما كلام الحنابلة** في باب تحريم دعاء غير الله فقد تقدم ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في حكاية إجماع العلماء على أن دعاء غير الله شرك أكبر ، وهذا مزيد كلام له في هذا الباب:

«فكل من غلا في حي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الإلٰهية ، مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده ، أو يقول إذا ذبح شاة: (باسم سيدي) ، أو يعبده بالسجود له أو لغيره ، أو يدعوه من دون الله تعالى ، مثل أن يقول: (يا سيدي فلان ، اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجِرني ، أو توكلت عليك ، أو أنت حسبي ، أو أنا في حسْبك) ، أو

---

[1] نقله الشوكاني عنه في «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد» ، ص ١٢١ ، (الناشر: دار ابن خزيمة – الرياض) ، ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه في كتابه «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» ، ص ٣٠٥ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

[2] الشيخ أحمد من علماء مصر ، درس الحديث والفقه ، وانكبَّ على تدوين التاريخ ، لقبه الزركلي بمؤرخ الديار المصرية ، له أكثر من مئتي مؤلَّف ، عُرِض عليه قضاء دمشق فأبى ، توفي سنة ٨٤٥ ، انظر ترجمته في «إنباء الغِمر» ، و«البدر الطالع» للشوكاني ، و «الضوء اللامع» للسخاوي ، و «الأعلام» للزركلي» (١/١٧٧) ، و «معجم المؤلفين» (١/٢٠٤).

[3] «تجريد التوحيد المفيد» ، ص ٥٢ – ٥٣ ، تحقيق علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى ؛ فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لِنعبد الله وحده لا شريك له ، ولا نجعل مع الله إلٰها آخر». اهـ.[1]

وقال أيضا: «ومن قال إن ميتا من الموتى ، نفيسة أو غيرها ؛ تُجير الخائف ، وتُخلِّص المحبوس ، وهي باب الحوائج ؛ فهو ضال مشرك ، فإن الله سبحانه هو الذى يجير ولا يجار عليه ، وباب الحوائج إلى الله هو دعاؤه بصدق وإخلاص ، كما قال تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾». [2]

وقال ابن القيم[3] رحمه الله في «مدارج السالكين» في معرض كلام له عن أنواع الشرك:

«ومن أنواعه ؛ طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده كما تقدم ، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك.

والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل لهم العافية والمغفرة ، فعكَس المشركون هذا ، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد ، وسموا قصدها حجا ، واتخذوا عنده الوقفة وحلق الرأس ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه ، ومعاداة أهل

---

[1] «الرسالة السنية» ، وتسمى أيضا بـ «الوصية الكبرى» ، وتقع كاملة في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٦٣-٤٣٠) ، والمنقول من ص ٣٩٥ .

[2] «مجموع الفتاوى» (٢٧/٤٩٠).

[3] هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرعي ثم الدمشقي ، المعروف بابن قيم الجوزية ، من علماء المائة الثامنة ، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨ ، فكان من كبار تلامذته ، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١ ، كان واسع المعرفة ، قوي الحجة ، دقيق الاستنباط ، كثير المصنفات ، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس ، حتى صار من بعده عيالا عليه ، نصر العقيدة الإسلامية نصرا مؤزرا ، ورد على المبتدعة نظما ونثرا ، لاسيما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة ، رحمه الله رحمة واسعة ، فقد جدد هو وشيخه دين الله ، فكانا منعطفا في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية ، حياته وآثاره».

التوحيد ، ونِسبة أهله إلى التنقص للأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك ، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئًا ، بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم أَمروهم به ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله خليله[1] إبراهيم عليه السلام حيث يقول ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾.

وما نجا من شَرَكِ[2] هذا الشرك الأكبر إلا من جرَّد توحيد الله[3] ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحدهُ وليَّهُ وإلٰههُ ومعبودهُ ، فجرَّد حبهُ لله ، وخوفهُ لله ، ورجاءهُ لله ، وذُلَّهُ لله ، وتوكُّلهُ على الله ، واستعانتهُ بالله ، والتجاءهُ إلى الله ، واستغاثتهُ بالله ، وأخلص قصدهُ لله ، متبعا لأمره ، متطلبا لمرضاته ، إذا سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمِل عمِل لله ، فهو لله وبالله ومع الله».[4]

وله رحمه الله في باب التحذير من تعظيم أصحاب القبور كلام طويل في كتابه النفيس «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ذكر فيه الجذور التاريخية لتعظيم أصحاب القبور والغلو فيهم ، كما عرض لذكر المظاهر والعلاج ، رحمه الله رحمة واسعة.[5]

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله[6]: «إنَّ من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج ، ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر: (افعل لي كذا) ؛ هو كافر بهذه

---

[1] أي: لله دَرُّ خليلِه.

[2] شَـرَك أي فخ.

[3] أي جرَّده من الشرك.

[4] «مدارج السالكين» ، منزلة التوبة ، ص ٦٠٥ ، الناشر: دار طيبة – الرياض.

[5] ولكاتبه عفا الله عنه بحث بعنوان «تلاعب الشيطان بعقول القبوريين» ، جمع فيه كلام ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة من كتابه المذكور ، ورتبه وفهرسه ، وهو منشور على صفحته في شبكة المعلومات (www.saaid.net/kutob) ، نفع الله به.

[6] هو الإمام العلامة البحر ، شيخ الحنابلة ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ٤٣١ هـ ، له كتاب «الفنون» في أربعمائة مجلد ، اشتغل بعلم الكلام فوقع في تأويل بعض الصفات ، ثم أشهد على نفسه أنه تاب ، ثم صنف في الرد على مؤولة الصفات ، وله كلام في كتابه «الفنون» في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ، نقله ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٦١/٨ – ٦٨).

توفي رحمه الله سنة ٥١٣ هـ. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٤٣/١٩).

الأوضاع[1] ، ومن دعا ميتا وطلب قضاء الحوائج فهو كافر».[2]

وقال أيضا: «لما صعُبت التكاليف على الجهال والطَّغَام[3] ؛ عَدَلوا[4] عن أوضاع الشرع[5] إلى تعظيم أوضاع وضعوها ، فسهُلت عليهم إذ لم يَدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وكَتب الرقاع فيها: (يا مولاي ، افعل لي كذا وكذا) ، أو إلقاء الخرق على الشجرة اقتداء بمن عَبَد اللات والعُزَّى».[6]

وقال الشيخ عبد الله أبابطين[7] رحمه الله: «ورأيت من جملة فتاوى للقاضي أبي يعلى[8] منها: أنه سُئل سُئل عمن يقول: (يا محمد ، يا علي) ، فقال: هذا لا يجوز لأنهما ميتان».[9]

**وأما كلام المالكية في باب تحريم دعاء غير الله** فقد قال الإمام محمد بن أحمد القرطبي المالكي رحمه الله في تفسيره الموسوم «الجامع لأحكام القرآن» في تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[10]:

قوله تعالى ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ ، أي إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم ، لأنها جمادات لا تُبصر ولا تسمع ، إذ ليس كل سامع ناطقا.

---

[1] الأقرب أن مقصوده بقوله «الأوضاع» أي الأفعال.

[2] نقله عنه الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي في كتابه «حكم الله الواحد الصمد» ، ص ٤٤ ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

[3] الطغام هم أراذل الناس وأوغادهم. انظر «النهاية».

[4] عدَلوا أي حادوا.

[5] أوضاع الشرع أي تعاليمه التي شرعها الله تعالى للناس.

[6] نقله عنه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» ، ص ٣٦٤-٣٦٥ ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام.
ونقله أيضا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد» ، ص ٣٠١-٣٠٢ ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.

[7] تقدمت ترجمته.

[8] هو شيخ الحنابلة ، المفتي القاضي ، محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي ، ابن الفراء ، كان عالم العراق في زمنه ، له كتاب كتاب «إبطال التأويلات في أخبار الصفات» و «الرد على الجهمية» وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٤٥٨ رحمه الله رحمة واسعة.
باختصار من «سير أعلام النبلاء» (٨٩/١٨) ، وله ترجمة في «تاريخ الإسلام» ، و«طبقات الحنابلة» لابنه محمد بن أبي يعلى الفراء رحمه الله.

[9] «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» ، ص ١٤٧ .

[10] سورة فاطر: ١٤ .

وقال قتادة: المعنى: لو سمعوا لم ينفعوكم.

وقيل: أي لو جعلنا لهم عقولا وحياة فسمِعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم ، ولما استجابوا لكم على الكفر.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ ، أي يجحدون أنكم عبدتموهم ، ويتبرءون منكم.

ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين مما يَعقل ، كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين ، أي يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقا ، وأنهم أمروكم بعبادتهم ، كما أخبر عن عيسى بقوله ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾[1].

ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضا ، أي يحييها الله حتى تخبر أنها ليست أهلا للعبادة.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ، هو الله جل وعز ، أي لا أحد أَخْبر بخلق الله من الله ، فلا ينبئك مثله في عمله. انتهى.

وقال العلامة عبد الحميد بن باديس الجزائري[2] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية – في تفسيره لقول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰها آخر﴾[3]:

**مزيد بيان لتوحيد الرحمٰن**

**من دعا غير الله فقد عبده**

---

[1] سورة المائدة: ١٦ .

[2] هو الشيخ الداعية عبد الحميد بن مصطفى بن مكي بن باديس ، من دعاة النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري في الجزائر ، درس على عدة مشايخ في الجزائر وتونس ، ثم انكب على التعليم والدعوة ومحاربة البدع لاسيما بدع الطرق الصوفية ، حتى إن الصوفية دبروا مكيدة لاغتياله فنجاه الله منها ، أسس جريدة الشهاب ، وكان له نشاط ظاهر في بعض المجلات الدينية ، وتخرج على يديه دعاة عدة ، منهم مبارك الميلي والفضيل الورتيلاني ومحمد سعيد الزاهري وأحمد حماني ومحمد الصالح بن عتيق ومحمد الصالح رمضان.

له مقالات جمعت فيما بعد فصارت كتبا ، منها «مبادئ الأصول» و«العقائد الإسلامية» و «التفسير أو مجالس التذكير» و «رجال السلف ونساؤه» و «جواب سؤال عن سوء مقال» ، وهو رد على ابن عليوة الطُّرُقي ، وقد جمعت مقالات الشيخ في الثلاثة كتب الأخيرة في ستة مجلدات ، وأصدرتها وزارة الشؤون الدينية الجزائرية.

بذل ابن باديس نفسه ووقته وجهده من أجل قضية تحرير الجزائر من احتلال الفرنسيين ، وأمضى عمره في التعليم والدعوة ، حتى عُـدَّ من أئمة الدعوة في المغرب العربي ، وافته المنية في ١١ربيع الثاني ١٣٥٨هـ ، رحمه الله رحمة واسعة.

مصدر الترجمة: «أصول الدعوة السلفية عند العلامة عبد الحميد بن باديس» للشيخ محمد حاج عيسى الجزائري.

[3] سورة الفرقان: ٦٨ .

ما يزال الذكر الحكيم يُسمي العبادة دعاء ويعبر بها عنها ، ذلك لأنه عبادة ، فعبر عن النوع ببعض أفراده ، وإنما اختير هذا الفرد ليُعَبَّر به عن النوع لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها ، فإن العابد يُظهر ذله أمام عِزِّ المعبود ، وفقره أمام غناه ، وعجزه أمام قدرته ، وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه ، ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه ، فالدعاء هو المظهر الدَّال على ذلك كله ، ولهذا كان مخ عبادته ، وقد جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾. رواه أحمد والترمذي وأبو داود رحمهم الله والنسائي وابن ماجه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (الدعاء مخ العبادة)[1]. رواه الترمذي رضي الله عنه.

فتطابق الأثر والنظر على أن الدعاء عبادة ، فمن دعا غير الله فقد عبده ، وإذا كان هو لا يسمي دعاءه لغير الله عبادة فالحقيقة لا ترتفع بعد تسميته لها باسمها وتسميته لها بغير اسمها ، والعبرة بتسمية الشرع التي عرَفناها من الحديثين المتقدمين لا بتسميته ...

**تحذير وإرشاد**

ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس: (يارب والشيخ) (يا رب وناس ربي) .. وهذا من دعاء غير الله ، فإياك أيها المسلم وإياك ، وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وحده ، وأنف الشرك راغم.

انتهى كلامه رحمه الله.[2]

وقال العلامة مبارك الميلي المالكي الجزائري[3] رحمه الله تعالى – وهو من متأخري المالكية أيضا – في كتابه «رسالة الشرك ومظاهره»:

---

[1] حديث ضعيف ، انظر «مشكاة المصابيح» (٢٢٣١) و «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (٣٠٠٣) ، ومعناه صحيح بلا شك ، ويغني عنه حديث: (الدعاء هو العبادة) ، وقد تقدم تخريجه.

[2] «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» ، ص ٢٩٩ – ٣٠٠ ، باختصار ، وهو من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية – الجزائر.

[3] هو الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي ، تلقى العلم منذ صغره على جلة من المشايخ ، منهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ثم صار أحد أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١ ، وكان له دور دعوي بارز في الصحافة ، جاهد في سبيل الدعوة بالرغم من المضايقات التي تعرض لها أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر ، له عدة مؤلفات ، أشهرها «الشرك و مظاهره» ، توفي رحمه الله في عام ١٩٤٥ ميلادية.

## دعاء غير الله وحكمه

**دعاء غير الله .. شرك صريح وكفر قبيح** ، وله نوعان:

**أحدهما:** دعاء غير الله مع الله ، كالذي يقول: (يا ربي وشيخي ، يا ربي وجَدي ، يا الله وناسه ، يا الله يا سيدي عبد القادر) ، وسمعت كثيرا يحكون أنهم كثيرا ما يسمعون فلانا يقول: يا ربي يا سيدي يوسف اغفر لي ...

وإطلاق الشرك على هذا النوع واضح ، لأن الداعي عَطَفَ غير الله على الله بالواو ثابتة أو محذوفة ، وهي تقتضي مشاركة ما بعدها لما قبلها في الحكم ، والحكم المشترك فيه هنا هو عبادة الدعاء.

**النوع الثاني:** دعاء غير الله من دون الله ، كالذي يقول: .. (يا ديوان الصالحين).

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

وقال أيضا:

ولقد فشا في المسلمين دعاء غير الله على شدة إنكار كِتابِهم له[2] وتحذير نبيهم ﷺ منه ، حتى صار الجهلة ومن قَرُبَ منهم يؤثرونه على دعاء الله وحده ، والاستشهاد لذلك بالحكايات عنهم واستيعابها مُمِلٌّ مُعجِز.[3]

وقال العلامة تقي الدين الهلالي المالكي[4] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية أيضا – في كتابه «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية»:

---

مصدر الترجمة: مقدمة تحقيق كتاب «الشرك ومظاهره» للمترجم له ، تحقيق الشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ، الناشر: دار الراية – الرياض.

[1] «رسالة الشرك ومظاهره» ، ص ٢٨١ – ٢٨٢ ، باختصار ، تحقيق الشيخ أبي عبد الرحمٰن محمود الجزائري ، راجعه الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ، الناشر: دار الراية – الرياض.

[2] أي القرآن العظيم.

[3] «رسالة الشرك ومظاهره» ، ص ٢٨٦ .

[4] هو العلامة المحدث واللغوي الشهير والشاعر الفحل والرحالة المغربي الشيخ السلفي الدكتور محمد التقي المعروف بمحمد تقي الدين الهلالي ، درس على جملة من المشايخ ، منهم الشيخ عبد الظاهر أبو السمح والشيخ رشيد رضا بمصر ، ثم مكث بها سنة يدعو إلى عقيدة السلف و يحارب الشرك و الإلحاد ، ثم سافر للهند فطلب الحديث على الشيخ المحدث عبد الرحمٰن بن عبد الرحيم المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» ، ودرس على غيره أيضا في العراق ، ثم تدرج في سلسلة أعمال علمية

فتبين لك أيها القارئ الموفق أن الاستغاثة دعاء ، والدعاء مخ العبادة ، ومن استغاث بغير الله فقد أشرك وعبد مع الله غيره ، ومن زعم أنه هو أو غيره من المخلوقين قادرٌ أن يُغيث من استغاث به ويجيب المضطر ويكشف السوء ويجعل الناس خلفاء في الأرض فقد اتخذ مع الله إلٰها آخر بنصوص القرآن والسنة ، انظر آيات النمل من قوله تعالى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِين * قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُون * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأرض وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون * أَمَّنْ جَعَلَ الأرض قَرَارًا وَجَعَلَ خلالها أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرض ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قليلا مَا تَذَكَّرُون * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرض ءإِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾.

من آية ٥٨ – ٦٤ ذكر الله تعالى في هذه الآيات أمورا خاصة به لا يقدر عليها غيره ، منها إجابة المضطر وكشف السوء وتولية المناصب والهداية في ظلمات البر والبحر وإرسال الرياح فمن نسب شيئا من هذه الأمور إلى مخلوق أنه هو الفاعل لها بغير طريق الأسباب **فقد أشرك بالله** وعبد معه غيره.

واعلم أنه يجب على كل مسلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته ، فهذه أنواع التوحيد الثلاثة ، من أخلَّ بها أو بشيء منها فهو كافر.[1]

---

ودعوية إلى أن عمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى سنة ١٩٧٤م ، ثم رجع إلى بلده المغرب ومكث يدعو فيها إلى التوحيد والسنة إلى أن توفاه الله يوم الإثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ.

له ما يربو على عشرين مؤلفا في العقيدة والفقه ، منها «القاضي العدل في حكم البناء على القبور» ، و «العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور» ، فرحمه الله رحمة واسعة.

[1] «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» ، ص ٦١ .

وقال العلامة الشيخ المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي[1] رحمه الله – وهو من متأخري المالكية أيضا – في تفسير قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلٰها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾[2]:

وأعظم الكافرين كفراً هو من يدعو مع الله إلٰها آخر لا برهان له به ، ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار ، وقد حذر الله من دعاء إله معه في آيات كثيرة كقوله ﴿ولا تجعلوا مع الله إلٰها آخر إني لكم منه نذيرٌ مبين﴾ ، وقوله ﴿ولا تدعُ مع الله إلٰها آخر لا إله إلا هو كل شئ هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ ، وقوله تعالى ﴿لا تجعل مع الله إلٰها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾ ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. انتهى.

وقال أيضا رحمه الله في تفسير الآية الثانية من سورة الحجرات:

«اعلم أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته ؛ اتجاه عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدِر على كشفِها إلا الله ، فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي **لا يجوز إلا لله وحده** ، لأنه من خصائص الربوبية ، فصرْف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته وطاعة رسوله ﷺ ومرضاته ، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي ﷺ ، لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا.

وقد بين جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه أن اتجاه المضطر من عبادِه إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى». انتهى.[3]

وبهذا انتهى النقل عن علماء المذاهب الأربعة.

---

[1] هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين ، كان غزير العلم ، متوقد الذكاء ، ذو حافظة نادرة ، له نحو عشرين كتابا ، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة ، أشهرها ذكرا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ، و «مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر» ، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ . باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء» ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

[2] سورة المؤمنون: ١١٧ .

[3] انظر تفسيره الموسوم «أضواء البيان».

**ولغير واحد من العلماء المحققين ممن لا ينتسب إلى مذهب معين** كلام واضح وصريح في تحريم دعاء غير الله ، فقد قال الإمام محمد بن علي الشوكاني[1] في كتابه «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»:

«اعلم أن الرزية كل الرزية ، والبلية كل البلية ؛ أمرٌ غير ما ذكرنا – من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة – وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ومن المعروفين بالصلاح من الأحياء ، من أنهم يقدِرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، **فصاروا يدعونهم تارة مع الله ، وتارة استقلالا ، ويصرخون بأسمائهم** ، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ، ويخضعون لهم خضوعا زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء ، **وهذا إذا لم يكن شركا فلا ندري[2] ما هو الشرك ، وإذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر**». انتهى.[3]

وأختم هذا الباب بكلام نفيس جامع لسماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز[4] رحمه

---

[1] هو الشيخ الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، اليمني ، درس على شيوخ كثر في فنون كثيرة ، وألف كتبا كثيرة منها «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» ، وطُبع له مجموع فتاوى بعنوان «الفتح الرباني في فتاوى الشوكاني» ، وفي التفسير له كتاب «فتح القدير» ، ورد على أرباب القول باتحاد الخالق والمخلوق في كتاب «الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد» ، وغيرها من الكتب والرسائل التي بلغت ١١٤ مؤلفا ، توفي رحمه الله سنة ١٢٥٠ . انظر ترجمته لنفسه في «البدر الطالع» ، وانظر «الأعلام» للزركلي (٢٩٨/٦).

[2] في المطبوع: (تدري) ، وأظنه تصحيفا.

[3] ص ٢٢ – ٢٣ ، تحقيق محمد علي الحلبي ، دار الفتح – الشارقة.

[4] هو الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، شيخ الإسلام في وقته ، ملأ الدنيا علما وفقها ومساجد ومشاريع علمية ، تخرج على يده جم غفير من طلبة العلم ، غالب من خلفه من علماء المملكة العربية السعودية وطلابها وقضاتها عيالٌ عليه ، شغل منصب نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عند افتتاحها ، ثم ترأسها بعد سنة ، فكانت منذ افتتاحها ولا زالت دوحة علمية ، يستفيد منها طلاب العلم الذين يأتونها من أنحاء الدنيا ، وبعضهم قد صار في مصافِّ العلماء في بلادهم ، له مجموع فتاوى يقع في ثلاثين مجلدا ، وله كتب ورسائل كثيرة ، وهو معروف بكثرة الشفاعات للناس ، ومساعدتهم لقضاء حوائجهم ، وهو معروف أيضا بالنصح لكل مسلم مهما كان مقامه ، بل حتى رؤساء الحكومات الكافرة قد بلغهم نصحه ، والكلام في آثاره العلمية والدعوية والتربوية يطول جدا.

أُلِّفت في سيرته تراجمُ عدة ، منها «عبد العزيز بن باز ، عالم فقدته الأمة» لمستشاره د. محمد بن سعد الشويعر ، وكذلك «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله» لمدير مكتبه الشيخ محمد بن موسى الموسى.

توفي رحمه الله في مستهل عام ١٤٢٠ عن تسعين عاما ، فاهتزت الدنيا لموته ، ودخل الحزن بيوت المسلمين عامة ، واجتمع للصلاة عليه الأمراء والوزراء والعلماء والقضاة وطلبة العلم والمثقفون والعامة ، وصُلّي عليه في المسجد الحرام ، وسار في جنازته ما

الله في هذه المسألة ، قال:

لا ريب أن الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها ، فوجب إخلاصه لله وحده كما قال عز وجل ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون﴾[1] ، وقال عز وجل ﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[2] ، وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم ، لأن "أحد" نَكِرَة في سياق النهي ، فتَعُم كل من سوى الله سبحانه ، وقال تعالى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾[3] ، وهذا خطاب للنبي ﷺ ، ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك ، وإنما المراد من ذلك تحذير غيره ، ثم قال عز وجل ﴿فإن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِين﴾[4] ، فإن كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين فكيف بغيره؟ والظلم إذا أُطلق يراد به الشرك الأكبر كما قال الله سبحانه ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُون﴾[5] ، وقال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾[6] .

فعُلِم بهذه الآيات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأحجار والأصنام وغيرها شرك بالله عز وجل ينافي العبادة التي خَلَقَ الله الثقلين من أجلها ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله ، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله ، فهي تنفي العبادة عن غير الله وتثبتها لله وحده ، كما قال سبحانه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِل﴾[7] ، وهذا هو أصل الدين وأساس الملّة ولا تصح العبادات إلا بعد صحة هذا الأصل كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين﴾[8] ، وقال سبحانه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾[9] .

---

يربو على المليون مسلم ، وشُغِلت الصحف بخبر وفاته زمنا ليس بالقليل ، أما المراثي الشعرية والنثرية التي أُلِّفت فيه فحدث ولا حرج.

[1] سورة غافر: ١٤ .

[2] سورة الجن: ١٨ .

[3] سورة يونس: ١٠٦ .

[4] سورة يونس: ١٠٦ .

[5] سورة البقرة: ٢٥٤ .

[6] سورة لقمان: ١٣ .

[7] سورة الحج: ٦٢ .

[8] سورة الزمر: ٦٥ .

[9] سورة الأنعام: ٨٨ .

ودين الإسلام مبني على أصلين عظيمين أحدهما: أن لا يُعبدَ إلا الله وحده ، والثاني ألاَّ يُعبَد إلا بشريعة نبيه ورسوله محمد ﷺ ، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن دعا الأموات من الأنبياء و غيرهم أو دعا الأصنام أو الأشجار أو الأحجار أو غير ذلك من المخلوقات أو استغاث بهم أو تقرب إليهم بالذبائح و النذور أو صلى لهم أو سجد لهم ؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وجعلهم أنداداً له سبحانه.

وهذا يناقض هذا الأصل و ينافي معنى لا إله إلا الله ، كما أن من ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله لم يحقق معنى شهادة أن محمداً رسول الله ، وقد قال الله عز وجل ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً منثُورا﴾[1] ، وهذه الأعمال هي أعمال من مات على الشرك بالله عز و جل ، و و هكذا الأعمال المبتدعة التي لم يأذن بها الله فإنها تكون يوم القيامة هباءً منثوراً لكونها لم توافق شرعه المطهر ، كما قال النبي ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. متفق على صحته.[2]

ثم قال رحمه الله: وقد أمر الله عز وجل بدعائه سبحانه ، ووعد من يدعوه بالاستجابة ، وتوعد من استكبر عن ذلك بدخول جهنم ، كما قال عز وجل ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] ، أي صاغرين ذليلين ، وقد دلت الآية الكريمة على أن الدعاء عبادة ، وعلى أن من استكبر عنه فمأواه جهنم ، فإذا كانت هذه حال من استكبر عن دعاء الله فكيف تكون حال من دعا غيره وأعرض عنه؟

وهو سبحانه القريب المجيب المالك لكل شيء والقادر على كل شيء ، كما قال سبحانه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾[4].

وقد أخبر الرسول في الحديث الصحيح أن **الدعاء هو العبادة** ، وقال لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: **اِحْفَظِ الله يَحْفَظْكَ ، اِحْفَظِ الله تجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله ، وَإِذَا**

---

[1] سورة الفرقان: ٢٣ .

[2] رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

[3] سورة غافر: ٦٠ .

[4] سورة البقرة: ١٨٦ .

**اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله.** أخرجه الترمذي وغيره.[1]

وقال ﷺ : من مات وهو يدعُو من دون الله نداً دخلَ النار.[2]

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سُئِل: أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ الله؟

قال: **أن تجعلَ للَّهِ نِـدًّا وهوَ خَلَقَكَ.**[3]

والند هو النظير و المثيل.

فكل من دعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو صرف له شيئا من العبادة سوى ما تقدم فقد اتخذه ندا لله ، سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك من المخلوقات.

أما سؤال الحي الحاضر ما يقدر عليه والاستعانة به في الأمور الحسية التي يقدر عليها فليس ذلك من الشرك ، بل ذلك من الأمور العادية الجائزة بين المسلمين ، كما قال تعالى في قصة موسى ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[4] ، وكما قال تعالى في قصة موسى أيضا ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّب﴾[5] ، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأمور التي تَعرِض للناس ويحتاجون فيها إلى أن يستعين بعضهم ببعض.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يبلغ الناس أنه لا يملك لأحد نفعاً أو ضراً ، فقال تعالى في سورة الجن ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً * قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ رَشَداً﴾[6] ، وقال تعالى في سورة الأعراف ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَراً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[7].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهو ﷺ لا يدعو إلا ربه ، ولا يستغيث إلا به ، و كان في يوم بدر يستغيث بالله ويستنصره على عدوه ويُلِحُّ في ذلك ويقول: "**يا ربِّ أنجز لي ما وعدتني**" ، حتى قال الصديق الأكبر أبو بكر

---

[1] تقدم تخريجه.

[2] رواه البخاري (٤٤٩٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[3] رواه البخاري (٤٧٦١) ومسلم (٨٦) ، واللفظ له ، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[4] سورة القصص: ١٥ .

[5] سورة القصص: ٢١ .

[6] سورة الجن: ٢٠ – ٢١ .

[7] سورة الأعراف: ١٨٨ .

رضي الله عنه: "حَسبُك يا رسول الله ، فإن الله مُنجِز لك ما وعدك"[1] ، وأنزل الله سبحانه في ذلك قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الملائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] ، فذكّرهم سبحانه في هذه الآيات استغاثتهم به ، وأخبر أنه استجاب لهم بإمدادهم بالملائكة ، ثم بين سبحانه أن النصر ليس من الملائكة ، وإنما أمدهم به للتبشير بالنصر والطمأنينة ، وبين أن النصر من عنده فقال ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾[3] ، وقال عز وجل في سورة آل عمران ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4] ، فبين في هذه الآية أنه سبحانه هو الناصر لهم يوم بدر ، فعُلم بذلك أن ما أعطاهم من السلاح والقوة ، وما أمدهم به من الملائكة ؛ كل ذلك من أسباب النصر والتبشير والطمأنينة ، وليس النصر منها ، بل هو من عند الله وحده.[5]
انتهى كلام الشيخ ابن باز رحمه الله.

قال مقيده عفا الله عنه: فجزى الله أهل العلم المخلصين لله خير الجزاء بما بينوا للناس أصل دينِهم وهو توحيد العبادة ، فإنهم كما قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم في مقدمة الكتاب الذي جمعه «الدرر السنية من الفتاوى النجدية»:
وقد صنف العلماء في كل عصر ومصر ، في الأصول والفروع وغيرها مما لا يحصى ، حفظا للدين والشريعة وأقول أهل العلم ، وليكون آخر الأمة كأولها في العلم والعمل والتزام أحكام الشريعة وإلزام الناس بها ، لأن ضرورتهم إلى ذلك فوق كل ضرورة ، ولولا ذلك لجرى على ديننا ما جرى على الأديان قبله ، فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم ، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.[6]

---

[1] انظر الحديث في صحيح البخاري (٢٩١٥) وصحيح مسلم (١٧٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
[2] سورة الأنفال: ٩ – ١٠ .
[3] سورة آل عمران: ١٢٦ .
[4] سورة آل عمران: ١٢٣ .
[5] انظر «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١٠٨/٢) ، الناشر: دار القاسم – الرياض.
[6] «الدرر السنية» (٢١/١).

**الوجه الثالث**[1]: أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه هو فعل مشركي مكة الذين بعث إليهم النبي ﷺ سواء بسواء ، قال الله تعالى عنهم ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ، أي: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يدْعونهم ما كانت حُجتهم إلا دعوى أنها تقربهم إلى الله ، هكذا فسرها قتادة كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عنه رحمهما الله في تفسير الآية الكريمة.

وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[2] ، قال ابن كثير[3] رحمه الله في تفسير الآية: ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله ، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تملك شيئا ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدا ، ولهذا قال تعالى ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾. انتهى.

**الوجه الرابع**: أن الله تعالى لو كان يرضى لعباده باتخاذ وسائط بينهم وبينه لاستفاض الأمر بذلك في الكتاب والسنة ، لأن شأن الدعاء مهم بين سائر العبادات ، ثم إن النبي ﷺ قد بيَّن الوسائل الشرعية لإجابة الدعاء ، سواء المتعلقة بالأزمنة الفاضلة أو الأمكنة الفاضلة أو الأحوال الفاضلة ، ولم يرِد عنه في شيء منها اتخاذ الصالحين واسطة ، ومن المعلوم أن كتاب الله فيه تبيان لكل شيء ، والنبي ﷺ علَّم أمته كل شيء ، حتى آداب قضاء الحاجة ، ثم تعلم الصحابة منه دين الله ، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: (لقد تركنا محمد ﷺ وما يُحرِّك طائر جناحيه في السماء إلا أذْكَرنا منه علما)[4] ، ثم حُفظ هديه وهدي صحابته في العبادة – الذي هو خير الهدي – في كتب الحديث والأثر ، ولم يرد في شيء منها الحث على اتخاذ الصالحين واسطة في الدعاء ، بل الذي نجده هو خلاف ذلك تماما ، فالكتاب والسنة ينهيان عن دعاء غير الله بتاتا تحت أي ذريعة كانت ، وجاء

---

[1] كل ما تقدم تفصيل للوجه الثاني ، وقد أطلت الكلام فيه ، ومن هنا يبدأ الكلام على الوجه الثالث من وجوه بطلان اتخاذ واسطة في الدعاء بين العبد وبين ربه.

[2] سورة يونس ، الآية ١٨ .

[3] هو عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البُصروي الأصل ، الدمشقي الشافعي ، ولد في مطلع القرن الثامن ، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ ، له تصانيف مفيدة ، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم» ، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ ، توفي سنة ٧٧٤ .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر ، و «شذرات الذهب» لابن العماد ، و «البدر الطالع» للشوكاني ، رحمهم الله.

[4] رواه أحمد (٥/١٥٣ ، ١٦٢) والطيالسي (٤٨١) ، وحسنه محققو «المسند».

فيهما وصف من فعل ذلك بالكفر عياذا بالله ، وقد تقدم ذكر بعض أدلة هذا الباب في أول هذا الكتاب.[1]

**الوجه الخامس**: لو كان اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه جائزا لفعله الصحابة رضي الله عنهم ، لأنهم أحرص الناس على الخير ، ولفعله التابعون وأتباعهم ، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله: (خير الناس قرني ، ثم الذين يلُونهم ، ثم الذين يلُونهم)[2] ، ولكن الذي نجده هو خلاف ذلك تماما ، فالصحابة رضوان الله عليهم والتابعون قد حلت بهم مصائب ، ودهمتهم نوائب ، وأصابهم القحط مرات ، ولم يرد عنهم أنهم اتخذوا وسائط يتقربون بها لتشفع لهم عند الله بكشف شيء من تلك الكروب ، لا النبي ﷺ ولا غيره من كبار الصحابة ، ومن المعلوم أن ما لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة دينا فلا يكون بعدها دينا.

**الوجه السادس**: ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط أن متخذيها يدعونها فقط في الرخاء ويَنسونها إذا اشتد الكرب ، وهذا دليل فطري على سقوط تلك الواسطة وبطلانها ، إذ لو كانت نافعة حقا لاستمروا في دعائها في الرخاء والشدة ، قال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ ، ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بغتة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء **وتنسون ما تشركون**﴾.

وقد عَقِلَ هذه الحقيقة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فكانت سببا في إسلامه ، فقد روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» في ترجمة عكرمة عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح ركِب عِكرمة بن أبي جهل البحر هاربا ، فخبَّ بهم البحر[3] ، فجعلت الصراري – أي الملاحين – يدعون الله ويوحدونه ، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله. قال: فهذا إلٰه محمد الذي يدعونا إليه فارجعوا بنا ، فرجع فأسلم.

قلت: وقد كان هذا كان فعل المشركين في الجاهلية ، يدعون الله وحده في الشدة والكرب فحسب ، وفي الرخاء يدعون غيره معه ، أما مشركو زماننا من المنتسبين للإسلام زورا – فيستغيثون بغير الله في

---

[1] انظر في أول هذا الكتاب: فصل في الأمر بدعاء الله وحده ، والنهي عن دعاء غيره.

[2] رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[3] أي: هاج واضطرب ، انظر «النهاية» مادة: خبب.

الرخاء والشدة ، بل إن شركهم يغلُظ في حال الشدة ، ومن ذهب لأحد القبور المُعظَّمة واستمع إلى أدعية قاصديها ، وما يشكونه لأصحاب تلك القبور من الكروب والشدائد ؛ علِم صدق مقالتي ، والله الهادي.

**الوجه السابع**: ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط أن طلب الشفاعة والتوسط في اللغة وفي الشرع يكون بأن يطلب شخص من غيره أن ينضم إليه ليتوسط له عند ثالث لقضاء حاجة ما ، أما الذين يفعله عباد القبور فخلاف ذلك تماما ، فإنهم يطلبون حاجاتهم من الواسطة نفسها ، فهذا يطلب الولد ، وذاك يطلب المدد ، وذاك يطلب الشفاء ، وذاك يطلب النصر على الأعداء ، فهم جعلوا الواسطة بمنزلة من يملك قضاء الحاجة نفسه ، وهذا في غاية البطلان الشرعي والعقلي ، ولو أنهم عرفوا معنى الشفاعة لذهب الأول إلى الثاني وطلب منه أن يدعو الله أن ييسر له قضاء حاجته ، لا أن يدعوه نفسه أن يقضي حاجته ، هذا إن كان الشفيع حيا قادرا حاضرا ، لا ميتا أو عاجزا أو غائبا.

**الوجه الثامن**: ومن أدلة بطلان اتخاذ الوسائط في الدعاء أنه ليس في صلاح الموتى ما يوجب اتخاذهم واسطة أصلا ، فصلاح الإنسان واستقامته وقربه من الله عائد نفعه على نفسه وليس على من اتخذه واسطة كما قال تعالى ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ ، فإنه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة فمقتضاه أن يثيبه الله تعالى ويعطيه أكثر مما يعطيك ، وليس مقتضاه أنك إذا دعوته أن الله يقضي حاجتك بواسطة دعائك إياه أعظم مما يقضيها إذا دعوت أنت الله مباشرة.[1]
كذلك ، فلو كان صلاح المرء في حياته أو بعد وفاته يعود نفعه على الآخرين بمجرد اتخاذه واسطة ؛ لبيَّن ذلك النبي ﷺ ، لأنه بلَّغ الدين ونصح الأمة.

**الوجه التاسع**: أن قياس الله على ملوك الدنيا –كما جاء في الشبهة – باطل من **ستة وجوه ؛ العلم والتدبير والغنى والملك والرحمة والقدرة** ، وهذا أوان بيان ذلك:

---

[1] انظر ما قاله الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي رحمه الله في كتابه «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور» ، ص ١١٧– ١١٨ ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة.
وانظر أيضا ما قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله في «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٣٢ .

**أما من جهة العلم** ؛ فإن الملوك إنما احتاجوا إلى الوسطاء لأنهم لا يعلمون حاجات الناس إلا عن طريقهم ، ولهذا اتخذوهم وسائط ، أما الله تعالى فإنه يعلم كل شيء بدون واسطة تُطلعه على ذلك ، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف لغاتهم على تنوع حاجاتهم ، لا يشغله سمعٌ عن سمعٍ ، ولا يغلط من كثرة المسائل ، ولا يمل من إلحاح الداعين ، قال تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

**وأما من جهة التدبير** ؛ فإن ملوك الدنيا لا يستطيعون تدبير أمور رعيتهم وقضاء حوائجهم إلا بأعوان يعينونهم ، ولهذا اتخذوهم وسائط ، أما الله سبحانه فإنه قيوم السماوات والأرض ، له الأمر كله ، وبيده مقاليد كل شيء ، قوي متين جبار ، ليس بحاجة إلى معين ، ولا إلى نصير ، قال تعالى ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾.

**وأما من جهة الغنى** ؛ فإن ملوك الدنيا قد يقبل الواحد منهم شفاعة الوسطاء اضطرارًا ، مع عدم إرادته لذلك وتثاقله له ، إما لحاجته إليهم – أي الوسطاء – ، أو تطييبًا لخاطرهم ، أو خوفًا منهم أن تنقص طاعتهم له ، أو أن يغدروا به ، أو مكافأة لهم على صنيع صنعوه ، فلهذا اتخذوهم وسائط ، فيكون بذلك كارهًا أو مستثقلاً لقبول شفاعتهم ، أو مستحِييا من ردِّها ، وربما لا يقبل شفاعتهم إلا بعد عناء وعسر ، لأنهم بشر ، والبشر صفتهم البخل والشح والتّمنُّع والتّكرّه ، وإن أعطى أعطى بقَـدْر ، خشية نفاد ما عنده ، أما الله تعالى فغنيٌّ كريم ، عنده خزائن السماوات والأرض ، لا يُكْرِثُـهُ[1] شيء ، يريد نفع عباده بلا مقابل ، ورحمتهم بلا إكراه ، قال تعالى ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض﴾.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى ، أنه قال: يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ؛ ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنقُصُ المِخيَط[2] إذا أُدخل البحر.[1]

[1] يكترث أي يبالي ، والمعنى أنه سبحانه وتعالى لا يبالي بما يُفيض على عباده من الأرزاق. انظر «مختار الصحاح» مادة «كَرَث».
[2] المخيط هو الإبرة.

وفي الحديث: إذا دعا أحدكم فلا يقل: (اللهم اغفر لي إن شئت) ، ولكن ليَعزم المسألة ولْيُعظِّم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه.[٢]

**وأما من جهة الملك** ؛ فإن ملوك الدنيا لهم شركاء في ملكهم من وزراء وحاشية ونحوهم ، ولا يستطيعون تسيير الأمور بدون رضاهم ، فلهذا جعلوهم وسائط بينهم وبين رعيتهم ، أما الله فلا شريك له في ملكه ، بل هو يملك الشافع وغيره ، قال تعالى ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ ، فالذي يجعل بينه وبين الله واسطة قد شبه الله بخلقه من هذا الوجه ، وهذا من أبطل الباطل.

**وأما من جهة الرحمة** ؛ فبيان ذلك أن الملوك بحاجة إلى من يلينهم ويُعطِّفهم على رعاياهم عن طريق الوسطاء والمقربين ، فلهذا اتخذوهم وسائط ، أما الله تعالى فليس بحاجة إلى ذلك ، فهو الرحمٰن الرحيم ، أرحم من الوالدة بولدها ، وهو الذي خلق الرحمة وجعلها في قلوب عباده ، فصار هذا يُحسن إلى هذا ، وهذا يُحسن إلى هذا ، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة.[٣]

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم رحمه الله مناصحًا رجلا كان يدعو غير الله:

«إذا دعوت نبياً أو غيره ، فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدِر على سؤالك ، وأرحم بك من ربك ؛ فهذا جهل وكفر وضلال ، ولا حُجة لك على ذلك لا نقلاً ولا عقلاً ، ولا يحتج أحد بما هو بعينه حجةٌ عليه ، اللهم إلا من ابتُلي بسوء الفهم وفساد التصور.

وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر وأرحم ، فلِماذا عدَلت عن سؤاله إلى سؤال غيره ، وهو سبحانه القائل ﴿أدعوني أستجيب لكم﴾ ، والقائل ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾؟»[٤]

وبناء على ما تقدم فإن دعاء غير الله يستلزم سوء الظن بالله ، بتنقصه في صفات العلم والرحمة والتدبير والغنى والملك ، وسوء الظن بالله من كبائر الذنوب ، ومما توعد الله عليه بالعقاب الشديد ،

---

[١] رواه مسلم (٢٥٧٧).

[٢] رواه البخاري (٦٣٣٩) ، ومسلم (٢٦٧٩) ، واللفظ لمسلم.

[٣] رواه مسلم (٢٧٥٣) واللفظ له ، وأحمد (٤٣٩/٥) ، وروى البخاري نحوه (٦٤٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] «السيف المسلول على عابد الرسول» ، ص ٣١ – ٣٢ ، بتصرف يسير جدا.

قال تعالى ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

«أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به ، فإن المسيء به الظن قد ظن به خلاف كمالِه المقدس ، وظَنّ به ما يناقض أسماءَه وصفاتَه ، ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم ، كما قال تعالى ﴿الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾ ، وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾[1] .

وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لقومه ﴿ماذا تعبدون * ءإفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين﴾ ، أي فما ظنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ، وماذا ظننتم به حتى عبدتم معه غيره؟ وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك لعبودية غيره ، فلو ظننتم به ما هو أهلُه من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه غني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه ، لا يَشرَكُه فيه غيره ، والعالِم بتفاصيل الأمور ، فلا يخفى عليه خافية من خلقه ، والكافي لهم وحده فلا يحتاج إلى معين ، والرحمٰن بذاته فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه ، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، وإلى من يعينهم على قضاء حوائجهم ، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة ، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورةً ، لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم.

---

[1] نزلت الآية السابقة في حق من شك في صفة السمع لله تعالى ، كما جاء ذلك في صحيح البخاري (٤٥٣٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قُرشيان وثقفي ، أو ثقفيان وقُرشي ، كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فِقه قلوبهم ، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟

قال الاخر: يسمع إن جَهرنا ولا يَسمع إن أخفينا.

وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهَرنا فإنه يسمع إذا أخفينا.

فأنزل الله عز وجل ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ الآية.

قلت: وتمامها الآية التي استشهد بها ابن القيم أعلاه وهي ﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾.

فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء ، الرحمٰن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء ؛ فإدخال وسائط بينه وبين خلقه نقص بحق ربوبيته وإلٰهيته وتوحيده ، وظنٌّ به ظن السوء ، وهذا يستحيل أن يشرَعُه لعباده ، ويمتنع في العقول والفِطر جوازه ، وقُبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح.

يُوضح هذا أن العابد مُعظِّم لمعبوده ، متأله خاضع ذليل له ، والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والإجلال والتأله ، والخضوع والذل ، وهذا خالص حقه.

فما قدر الله حق قدره من عَبَد مَعه غيره ممن لا يقدر على خلق أضعف حيوان وأصغره ، وإن سلبه الذباب شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه ، قال تعالى ﴿ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ، فما قدَرَ من هذا شأنه وعظمته حق قدرِه من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة ، بل هو أعجز شيء وأضعفه ، فما قدَرَ القويَّ العزيز حقّ قدرِه من أشرك معه الضَّعيف الذليل».[1]

**وأما من جهة القدرة** ؛ فإن العبد محدود القدرة ، ملِكاً كان أو مملوكا ، لا يقدِر على مساعدة إلا من كان تحت يده وفي حدود الأمور المادية التي هي تحت قدرته ، أما الله فهو على كل شيء قدير ، لا يُثقِله شيء ، ولا يستعصي عليه أمر ، يُغني الفقراء ، ويُطعِم الجائعين ، ويَشفي المرضى ، ويَهَب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور ، ويغفر ذنوب المذنبين ، ويُعطِي بلا حساب ، يجلِب النفع فلا يرد نفعه أحد ، ويدفع الضر فلا يجلب الضر أحد ، كما قال تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[2] ، لا يَنقُص ذلك من خزائنه شيء ، وهو مع هذا يُحب من يسأله ، بخلاف ملوك الدنيا ، فإن أطعموا أطعموا بحدود ، وإن قدِروا على النفع نفعوا بحدود ، وربما منعوا نفعهم مع القدرة ، والكلام في هذا يطول ، وهو واضح بحمد الله ، والغرض منه بيان بطلان تشبيه الله بملوك الدنيا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

[1] «الداء والدواء» ، ص ٢١١ – ٢١٧ ، باختصار.

[2] سورة فاطر: ٢ .

**الوجه العاشر**: يقال لمن قال إن عنده معاصي تحول بينه وبين إجابة دعائه: إن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه يستجيب للعبد ولو كان عنده معاصٍ ، بل حتى لو كان كافرًا ، لأن هذا من مقتضيات رحمته العامة ، والتي تشمل المطيع والعاصي[1] ، فما الداعي لاتخاذ الواسطة إذن؟!

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ، فإنه ليس دونها حجاب.[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجرًا فجوره على نفسه.[3]

فإجابة الدعاء ليست محصورة بدعاء الرجل الصالح ، فإنه وإن كان دعاؤه أقرب للاستجابة من دعاء العاصي ، ولكن لا ينحصر فيه ، وإلا لما استجاب الله لدعاء أحد ، لأن كل بني آدم خطّاء كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون.[4]

**الوجه الحادي عشر**: إن اتخاذ الواسطة يلغي العلاقة المباشرة بين العبد وربه ويقطع الصلة بينهما ، لكون فاعل ذلك قد وكّل غيره ليقوم عنه بعبادة الدعاء – بزعمه – ، فجعل بينه وبين الله حاجزًا ، وكفى بهذا خسارة ، وهذا خلاف ما قصدته الشريعة الإسلامية من تقوية العلاقة بين العبد وربه.

**الوجه الثاني عشر**: إن متخذ الواسطة قد حرم نفسه من خير كثير ، ألا وهو فرح الله بإقباله إليه ، وانطراحه بين يديه ، واستعاض عن هذا بالانطراح بين يدي ميتٍ ليس له من الأمر شيء ، ولا يقربه من ربه بشيء ، ومن المعلوم أن الله تعالى يفرح بإقبال عبده إليه ولو بلغت ذنوب عبدِه عَنان[5] السماء ، كما في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ : يقول الله عز وجل:

---

[1] والنوع الثاني من الرحمة هو الرحمة الخاصة ، وهذه خاصة بالمؤمنين ، وأعظم رحماته بهم إدخالهم الجنة في الآخرة ، وفي الدنيا شرح صدورهم بالإيمان وهدايتهم وكفايتهم عدوهم ونصرهم ونحو ذلك.

[2] رواه أحمد (١٥٣/٣) ، وحسنة الألباني في «صحيح الجامع» (١١٩) ، و «الصحيحة» (٧٦٧).

[3] رواه أحمد (٣٦٧/٢) ، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٧٦٧).

[4] رواه الترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) وغيرهما ، وحسنه الألباني.

[5] العنان هو السحاب.

أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرّب إلي بشبر تقربتُ إليه ذراعًا ، وإن تقرّب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة.[1]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدِكم كان على راحِلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيِس منها ، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها ، قد أيِس من راحِلته ، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده ، فأخذ بخِطامها ، ثم قال من شِدة الفرح: (اللهم أنت عبدي وأنا ربُّك) ، أخطأ من شدة الفرح.[2]

**الوجه الثالث عشر**: وفضلا عن كون دعاء غير الله شرك في العبادة ؛ فإن تلك الوسائط لا تقوم بدعاء الله كما يظنه من يدعوهم ، لأنهم إما جمادات وإما موتى ، وكِلا الصنفين لا يعلم عن الحي شيئا ، ولا يستجيب له ، ولا يخدِمه بشيء ، لا بدعاء ولا بغيره ، وقد جاء ذلك صريحا في قوله تعالى ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ ، وقال تعالى في سورة فاطر ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون **بشرككم** ولا ينبئك مثل خبير﴾ ، فسمى الله دعاءهم شركا ، وقال تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾.

بل إن الميت يعتبر مضرب مثل عند الناس في عدم الاستجابة ، فواعجباً من حي سميع بصير يسأل ميتا حاجاته!

ولهذا قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

**الوجه الرابع عشر**: ومن وجوه بطلان اتخاذ العبد شفعاء ووسطاء بينه وبين الله تعالى تصريح القرآن بأن أولئك الشفعاء لن يشفعوا لهم يوم القيامة ، بل ستتقطع بينهم الوصائل والعلائق ويتبرؤون منهم ، قال تعالى ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم **شفعاءكم** الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء **لقد تقطع بينكم** وضل عنكم ما كنتم

[1] رواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥).

[2] رواه مسلم (٢٧٤٦).

تزعـمون﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون * ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[2] ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى ، وكفروا بهم ، وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

**الوجه الخامس عشر**: ومن وجوه بطلان اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه في الدعاء **أن أولئك المدعُوين من الأنبياء والصالحين – ممن اتخذهم الناس وسائط – هم أنفسهم محتاجون لدعاء الأحياء واستغفارهم لهم** ، لأن الميت قد انقطع عمله ، كما قال عليه الصلاة والسلام: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له.[3]

فهذا محمد ﷺ – أفضل البشر وأقربهم عند الله منزلة – طلب منا أن نصلي عليه ، حيا وميتا ، والصلاة عليه هي الدعاء له بالرحمة ، قال ﷺ : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول **ثم صلوا علي** ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم **سلوا الله لي الوسيلة** فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن **سأل لي الوسيلة** حلت له الشفاعة.[4]

كما علَّمنا النبي ﷺ بأن نُسلِّم عليه وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض ، والسلام هو الدعاء بالسلامة ، فقد جاء في دعاء التشهد في التحيات: **السلام عليك** أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** ... الحديث.[5]

كما علَّم النبي ﷺ أمته أن يدعوا للميت بالرحمة والمغفرة في عموم الأحوال ، وفي صلاة الجنازة ، وبعد الدفن خصوصا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى على جنازة يقول: اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من

---

[1] سورة الأنعام ، الآية ٩٤ .

[2] سورة الروم ، الآية ١٣ .

[3] رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[4] رواه مسلم (٣٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

[5] رواه البخاري (٨٣١) ومسلم (٤٠٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تُضلنا بعده.[1]

وعن عثمان رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يُسأل.[2]

فإذا تقرر أن الميت بحاجة لدعاء الحي ولو كان الميت هو النبي ﷺ ؛ فلا يصح إذن أن نطلب من الموتى شيئا من المصالح الدينية أو الدنيوية.

**الوجه السادس عشر**: أن الاعتماد على مبدأ القياس لتسويغ اتخاذ واسطة بين العبد وبين ربه باطل من وجهين:

**الأول**: أن مبدأ القياس لا يلجأ إليه العلماء دائما ، بل عند الضرورةً ، عند عدم وجود النص الشرعي المبيِّن لحكم مسألة ما ، فعندئذ يلجأ العلماء إلى القياس ، أما مع وجود النص فلا ، وإلا فما فائدة النصوص الشرعية إذا كان القياس العقلي مقدما عليها؟

وقد تقدم تقرير أن النصوص الشرعية متضافرةٌ في النهي عن اتخاذ الوسائط ، بل إن إفراد الله بالعبادة هو أصل الدين وأساس الملة.

**الثاني**: أن معارضة نصوص الكتاب والسنة بالأدلة العقلية والأقيسة الذهنية باطل من جهة أن كل قياس يخالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ في نصهما أو ظاهرهما ، أو يخالف إجماع ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها ؛ فهو قياس فاسد الاعتبار لا يعول عليه عند جميع علماء المسلمين وفي جميع المذاهب الفقهية ، وقياس الله على ملوك الدنيا من الأقيسة الفاسدة قطعا ، لأن الله أبطله صراحة في القرآن في قوله ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ ، وفي قوله ﴿ليس كمثله شيء﴾.

وقد شبَّه بعض العارفين حال من يعترض على الشرع بالشبه العقلية بحال من أتى إلى الرسول ﷺ وقال له: (إن الوحي الذي تلقيناه منك ، والسنة التي تدلنا عليها ؛ فيها ما توافق عليه عقولنا وفيها ما لا توافق ، فسنأخذ منك ما وافق عقولنا ونترك الباقي) ، فهل هذا مؤمن؟ قطعا لا.

---

[1] رواه أبو داود (٣٢٠١) وابن ماجه (١٤٩٨) ، وصححه الألباني.

ورواه أحمد (٣٦٨/٢) ، والترمذي (١٠٢٤) بدون زيادة: اللهم لا تحرمنا أجره ... الحديث.

[2] رواه أبو داود (٣٢٢١) عن عثمان رضي الله عنه ، وصححه الألباني.

وهذا إبليس – أعاذنا الله منه – عارض أمر الله له بالسجود لآدم لما اتبع رأيه الفاسد ، وقدم العقل على الأمر الشرعي ، فقال ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ، فهلك وأهلك عياذا بالله.

وصدق ابن القيم رحمه الله إذ قال: «وأصلُ كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع ، والهوى على العقل».[1]

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فعلى العبد أن يسلم للشريعة المحمدية الكاملة البيضاء الواضحة ، ويسلم أنها جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وإذا رأى من العبادات والتقشفات وغيرها التي يظنها حسنة ونافعة ما ليس بمشروع ؛ علِم أن ضررها راجح على نفعها ، ومفسدتها راجحة على مصلحتها ، إذ الشارع حكيم لا يهمل المصالح».[2]

قلت: فالواجب هو التسليم والاستسلام لله ، واتباع أوامره ، وعدم الاعتراض عليها بشيء من الأقيسة العقلية أو الأهواء النفسية ، قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحَكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ ، وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ ، وقال تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ ، ففي هذه الآية نزه الله نفسه عما اختارته عقول البشر ، وسماه شركًا ، ووجه ذلك أن الذي يجعل عقله عمدَتُهُ فيما يختار فهذا في الحقيقة قد جعل له مرجِعًا آخر غير الشريعة ، وهو عقله ، فالواجب الحذر ، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

«يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك مُنازع ولا مُعَقِّب ، ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ، أي ما يشاء ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ، ومرجِعها إليه».

---

[1] «إغاثة اللهفان» (١٦٧/٢) ، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

[2] «تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري» لابن كثير رحمه الله (١٦٧/١).

# خلاصة البحث

وخلاصة القول أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه ، يزعم أنها تُقربه إليه ، وتشفع له عنده ؛ أمر باطل ، وهو من أنواع الشرك بالله العظيم ، ومستلزم لسوء الظن به ، والواجب أن يدعو العبد ربه مباشرة بدون واسطة كما قال تعالى ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ ، وهكذا باقي العبادات ، يتقرب بها العبد إلى ربه مباشرة.

**وقد جاء التصريح القرآني بأن دعاء غير الله باطل مهما كانت مُبرراته** ، وفي هذا كفاية وشفاء لمن أراد الحق وآمن بالقرآن ، وذلك في قوله تعالى في سورة الحج ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو **الباطل**﴾[1]، وقوله تعالى في سورة لقمان ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه **الباطل**﴾[2].

كما جاء التصريح القرآني بأن دعاء الله هو الحق ، كما قال تعالى ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

وبهذا تم الكتاب ، والله أعلم ، وصلى الله على نبيه محمد ، وآله وصحبه وسلم.

وكتبه ماجد بن سليمان الرسي

---

[1] الآية ٦٢ .

[2] الآية ٣٠ .

# ثبت لأهم المراجع


١. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، عبد الله بن أبي شيبة ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، الناشر: مكتبة دار الباز ، مكة

٢. الاستغاثة في الرد على البكري ، ابن تيمية ، تحقيق عبد الله السهلي ، ط ١ ، الناشر: مدار الوطن – الرياض

٣. تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس ، عبد الله أبابطين ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

٤. السيف المسلول على عابد الرسول ، الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم

٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق مصطفى العدوي ، الناشر: دار بلنسية – الرياض

٦. تجريد التوحيد المفيد ، أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي ، تحقيق علي بن محمد العمران ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة

٧. الداء والدواء ، ابن القيم ، تحقيق علي حسن عبد الحميد ، الناشر: دار ابن الجوزي – الدمام

٨. تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري ، الحافظ عماد الدين ابن كثير ، تحقيق محمد علي عجال ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة

٩. مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود الطيالسي ، تحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر – مصر

# فهرست المواضيع


- مقدمة
  - تأصيلات علمية بين يدي البحث
  - مكانة الدعاء بين سائر العبادات
  - فصل في الأمر بدعاء الله وحده والنهي عن دعاء غيره
- نص الشبهة ؛ شبهة دعاء الأموات بحجة طلب الواسطة والشفاعة عند الله ، والجواب عنها من ستة عشر وجها:

١. أن الله تعالى أمرنا بأن ندعوه مباشرة بدون اتخاذ واسطة.

٢. أن دعاء غير الله شرك أكبر مهما كانت ذريعته ، وهو قول سائر علماء الأمة من أتباع المذاهب وغيرهم.

٣. أن اتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه هو فِعل مشركي مكة الذين بُعِث فيهم رسول الله ﷺ .

٤. أن الله لو كان يرضى باتخاذ العبد واسطة بينه وبين ربه لاستفاض الأمر بذلك في الكتاب والسنة.

٥. لو كان اتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه جائزا لفعله الصحابة رضي الله عنهم.

٦. من أدلة بطلان اتخاذ الوسائط أن متخذيها يَنسون وسائطهم إذا اشتد الكرب ويدعونها في الرخاء.

٧. أن طلب التشفع والتوسط في اللغة وفي الشرع يكون بأن يطلب شخص من غيره أن ينضم إليه ليتوسط له عند ثالث لقضاء حاجة ما ، أما الذين يفعله عباد القبور فإنهم يطلبون حاجاتهم من الواسطة نفسها.

٨. ليس في صلاح الموتى ما يوجب اتخاذهم واسطة أصلا ، فصلاح الإنسان وقربه من الله عائد نفعه على نفسه وليس على من اتخذه واسطة.

٩. أن قياس الله على ملوك الدنيا باطل من ستة وجوه ؛ العلم والتدبير والغنى والملك والرحمة والقدرة.

١٠. أن الله تعالى أخبر بأنه يستجيب للعبد ولو كان عنده معاصٍ ، بل لو كان كافرا ، فما الداعي لاتخاذ الواسطة إذن؟!

١١. أن اتخاذ الواسطة يلغي العلاقة المباشرة بين العبد وربه ويقطع الصلة بينهما ، وكفى بهذا خسارة.

١٢. أن متخذ الواسطة قد حرم نفسه من خير كثير ، ألا وهو فرح الله بإقباله إليه.

١٣. أن تلك الوسائط لا تقوم بدعاء الله كما يظنه من يدعوهم ، لأنهم إما جمادات وإما موتى.

١٤. تصريح القرآن بأن أولئك الشفعاء لن يشفعوا لهم يوم القيامة ، وهذا دليل على بطلان اتخاذهم وسائط.

١٥. أن أولئك المدعُوين من الأنبياء والصالحين — ممن اتخذهم الناس واسطة – هم أنفسهم محتاجون لدعاء الأحياء واستغفارهم لهم.

١٦. أن الاعتماد على مبدأ القياس لتسويغ اتخاذ واسطة بين العبد وبين ربه باطلٌ من وجهين:

**الأول**: أن مبدأ القياس لا يلجأ إليه العلماء دائما ، بل عند الضرورة ، وذلك عند عدم وجود النص الشرعي ، بينما النصوص الشرعية متوافرة في بطلان اتخاذ الواسطة.

**الثاني**: أن كل قياس يخالف كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ في نصهما أو ظاهرهما ، أو يخالف إجماع ما كان عليه سلف الأمة ؛ فهو قياس فاسد الاعتبار.